

منهج الإمام ابن الجوزي
في كتابه: الكشف لمشكل الصحيحين

أحمد دحلان*

Abstract

Salah satu cabang ulum hadis yang tidak boleh dilewatkan begitu saja oleh pengkaji hadis adalah ilmu musykil hadis. Di kalangan ulama klasik, ada beberapa ulama yang mendedikasikan dirinya menggeluti salah satu cabang ulum hadis tersebut. Salah satu di antara mereka adalah Imam Ibnu al-Jauzi dengan karyanya yang berjudul 'Al-Kasyf li Musykil al-Shahihain'. Tulisan ini berusaha untuk mengenal lebih dalam karya tersebut, dengan menitik-beratkan pada metodologi yang ditempuh oleh pengarangnya. Diantara keunikan kitab ini adalah pengarangnya menertibkan hadis-hadis yang dianggap musykil tidak berdasarkan tema, melainkan berdasarkan musnad (riwayat Sahabat). Dalam hal ini, dia terinspirasi oleh musnad al-Humaidi. Sebelum menjelaskan hadis yang dianggap musykil, dia mendahulinya dengan riwayat singkat Sahabat yang meriwayatkan hadis tersebut. Setelah itu dia menghadirkan redaksi (matan) hadisnya. Terkadang dia meriwayatkan hadis secara maknanya (tidak literal). Yang patut dicatat dalam kitab ini adalah tidak semua yang dibahas dan diulas oleh pengarangnya adalah termasuk dalam kategori musykil hadis--sebagaimana yang didefinisikan dalam Musthalah Hadis. Oleh karena itu, ada beberapa hal yang dijelaskan oleh Ibnu al-Jauzi meskipun tidak termasuk hadis musykil. Dia melakukan itu untuk memperkuat argumentasinya ketika menjelaskan hadis tertentu, atau untuk mengambil dalil dari hadis tersebut, atau untuk tambahan penjelasan.

*كلية أصول الدين والفكر الإسلامي، قسم علوم القرآن والتفسير. الجامعة الإسلامية الحكومية سونان كاليجاكا جوكرتا (UIN

يعد علم مشكل الحديث من أهم علوم الحديث الذي لا بد لدارس الحديث الاهتمام به، وإذا تتبعنا جذور هذا العلم نجد بعض المتقدمين من العلماء قد خاضوا في هذا العلم، ومن بين هؤلاء هو الإمام ابن الجوزي الذي ألف كتاب "الكشف لمشكل الصحيحين". يحاول هذا البحث الموجز التعرف على هذا الكتاب القيم مركزاً على منهج مؤلفه. يخرج البحث بنتائج منها: انتهاج المؤلف طريقة المسند في تصنيف الأحاديث المشكلة، وهو في هذا المنوال ينهج منهج الحميدي في ترتيب مسنده، ولو خالفه في بعض المناهج، فعنون لكل مسند بقوله: "كشف المشكل من مسند فلان"، وذكر اسم الصحابي، ثم قام بتعريف موجز عن الصحابي بذكر شيء من فضائله وعدد أحاديثه، ثم أخذ يذكر جزءاً من الحديث الذي يريد شرح إشكاله، وفي الغالب سرد لفظه من أوله، ثم توقف عند موضع الإشكال، وربما ذكر الحديث متصرفاً، فرواه بالمعنى. لم يكن جميع ما تطرق ابن الجوزي لشرحه من قبيل المشكل -على المصطلح المستقر في علوم الحديث. لذلك نجد في كتابه بعض الأحاديث الذي ليس مشكلاً، إلا أن ابن الجوزي ذكره من أجل الاستشهاد أو الاستدلال على شيء أو زيادة بيان.

كلمات مفتاحية: مشكل الحديث، غريب الحديث، ناسخ، ومنسوخ

أ - مقدمة

إن حفظ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم من الضياع، وتنقيحها، وتيسير الاستفادة منها، مما قام به علماؤنا الأوائل في العصور الأولى من تاريخنا الغراء. ومن بين المجالات التي اهتم الأولون بالعناية بها، الكشف عما يستشكل من متون الأحاديث النبوية وبيان الأحكام الكامنة فيها، تسهياً للمسلمين الذين يشناقون إلى فهمها ثم العمل بها. وقد كان من بين العلماء الذين أفرغوا جهودهم في خدمة الحديث النبوي، الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه "الكشف لمشكل الصحيحين"، حيث قام فيه بشرح مشكل أحاديث الصحيحين، فأجاد فيه وبرع، حتى غدا كتابه مرجعاً لكثير ممن كتب بعده في ذلك الموضوع. يهدف هذا البحث إلى دراسة منهج المؤلف في كتابه السابق في ثنايا ترتيب

الكتاب الشكلي وأسلوب مؤلفه في شرح المشكل للوقوف على مميزات الكتاب وما عليه من مآخذ إن وجدت.

لكن قبل الخوض في بحار الكتاب، جدير بنا أن نتعرف على صاحب الكتاب ولو على سبيل الإيجاز.

ب- التعريف بالإمام ابن الجوزي

هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي.⁽¹⁾

اختلف في مولده، ف قيل سنة تسعة أو عشرة بعد المائة الخامسة. ولم يجزم هو نفسه، حيث إنه عندما سئل عن ذلك قال: "يكون تقريباً سنة عشر."⁽²⁾

نشأ ابن الجوزي في كنف عمته، حيث مات أبوه وله من العمر ثلاث سنوات، وانصرفت عنه أمه، فربته عمته واعتنت به. ولما ترعرع، ذهبت به إلى الحافظ أبي الفضل بن ناصر، فحفظ القرآن الكريم، وسمع منه الحديث. أحب الوعظ منذ الصغر، فوعظ الناس وهو صبي، وتعلم فنونه من ابن الزاغوني، ثم تفقه على أبي بكر الدينوري الحنبلي، وابن الفراء، وقرأ القرآن على سبط الخياط، ثم قرأه على جماعة من القراء بالروايات، وأخذ اللغة عن أبي منصور بن الجوالقي.⁽³⁾

تتلمذ على عدد من مشايخ عصره، منهم: أبو القاسم بن الحصين، وأبو عبد الله الحسين بن محمد البار، وعلي بن عبد الواحد الدينوري، وغيرهم.⁽⁴⁾ تخرج على يديه

(1) انظر: الذهبي، أبا عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأورنؤوط ومحمد نعيم العرقوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 9، 1413هـ)، ج 21، ص 365، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت: دار الفكر، 1979م) ج 4، ص 329، والداودي، طبقات المفسرين (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ج 1، ص 276.

(2) المرجع نفسه، ج 21، ص 366.

(3) المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه.

علماء أفاضل، نذكر منهم: سبطه الواعظ شمس الدين يوسف بن قزغلي الحنفي، والحافظ عبد موفق الدين ابن قدامة المقدسي، وابن الديبشي، وابن النجار، والضياء المقدسي، وغيرهم.⁽⁵⁾

توفي رحمه الله في ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة للهجرة، بعد مرض خمسة أيام، وله من العمر سبعة وثمانون سنة.⁽⁶⁾

ترك ابن الجوزي ثروة هائلة من العلم، فبلغت مؤلفاته أكثر من خمسمائة وعشرين كتاباً،⁽⁷⁾ منها: زاد المسير في علم التفسير، صفة الصفوة، صيد الخاطر، ذم الهوى، تلبس إبليس، الموضوعات الكبرى، وغيرها كثير.

ج- التعريف بكتاب "الكشف لمشكل الصحيحين"

اعتنى الإمام أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي (488 هـ)⁽⁸⁾ بالجمع بين الصحيحين، فسَمَّى كتابه بـ "الجمع بين الصحيحين"، جمع فيه بين أحاديث صحيح البخاري وصحيح مسلم، مع حذف الأسانيد، وترتيبه على حسب مسانيد الصحابة، وشرح بعض الغريب.⁽⁹⁾

⁽⁵⁾ المرجع نفسه.

⁽⁶⁾ المرجع نفسه.

⁽⁷⁾ انظر: الغزولي، عبد العزيز سيد هاشم، ابن الجوزي، الإمام المربي، والعالم البليغ، والعالم المثقن (دمشق: دار القلم، ط1،

2000م) ص145.

⁽⁸⁾ هو أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدي، من قرطبة. ولد في جزيرة ميوقرة بالأندلس قبل سنة عشرين وأربعمائة للهجرة النبوية، وسمع علماء عصره في الأندلس، ثم ارتحل إلى المشرق، فتنقل بين مصر، ومكة، ودمشق، ثم استقر ببغداد. من بين شيوخه المشهورين: أبو القاسم أصبغ بن راشد، وأبو عمر بن عبد البر، وابن حزم الظاهري الذي لازمه وأكثر عنه، وروى كتبه. كما أخذ عن الخطيب البغدادي، وابن مأكولا وغيرهم من الأئمة في عصره. وقد حصل على مكانة عالية في العلم، فأخذ منه عدد من الشيوخ، منهم: أبو عامر العبدري، ومحمد بن طرخان، وأبو القاسم السمرقندي، ومحمد بن ناصر، وأبو محمد الأكتفاني وغيرهم. كما حدث عنه شيخه الخطيب البغدادي وابن مأكولا. له مؤلفات في الحديث والآداب والتاريخ والتراجم العربية، ومن أشهرها: أدب الأصدقاء، والأمانى الصادقة، وجذوة المقتبس في تاريخ الأندلس، وجمال تاريخ الإسلام وغيرها. وأكثر كتبه شهرة هو الكتاب الذي نحن بصدد وهو الجمع بين الصحيحين. انظر ترجمته في: ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص2، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص120.

⁽⁹⁾ الكتاب مطبوع، بطبعة دار ابن حزم سنة 1419 هـ - 1998 م (الطبعة الأولى) بتحقيق الدكتور علي حسين البواب، ويقع في

ثم صار لكتابه مكانة متميزة بين العلماء المؤلفين من بعده في مختلف الفنون، حيث استفادوا منها بالنقل والاستشهاد بكلامه، كما فعل ذلك القرطبي في تفسيره،⁽¹⁰⁾ والحازن،⁽¹¹⁾ والحافظ ابن حجر في فتح الباري،⁽¹²⁾ وابن بطال في شرحه للصحيحين⁽¹³⁾ وغيرهم.

عرف ابن الجوزي هذه المكانة لكتاب الحميدي. لذا، عندما سأله أحد الناس عن شرح ما استشكل من الحديث النبوي، اختار كتاب الحميدي ليكون عمدة في ترتيب الأحاديث التي يريد شرح مشكلها.⁽¹⁴⁾

أما عن العنوان الذي وضعه لكتابه، فقد اختلفت المصادر في ذكره، فسبطه يوسف بن قزغلي أبو المظفر في مرآة الزمان في تاريخ الأعيان⁽¹⁵⁾ ذكره باسم "الكشف عن معاني الصحيحين". أما ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة⁽¹⁶⁾ فسماه بـ "الكشف لمشكل الصحيحين"، كما فعل ذلك أيضا الصفدي في الوافي بالوفيات⁽¹⁷⁾. وأما الزركلي في الأعلام⁽¹⁸⁾ فذكره بعنوان: "شرح مشكل الصحيحين". وأما حاجي خليفة في كشف الظنون⁽¹⁹⁾ فقال بأن عنوانه: "كشف مشكل الصحيحين".

وربما السبب في ذلك راجع إلى اختلاف النسخ التي وصلت إليهم، أو أنهم ذكروه باعتبار الموضوع الذي أُلّف الكتاب من أجله، ولم ينووا تحديد عنوانه.

(10) انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني (القاهرة: دار الشعب، ط2، 1372هـ) ج7، ص4.

(11) انظر: الحازن، أبو الحسن علي بن محمد الشيعي، لباب التأويل في معاني التنزيل، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، ج1، ص177.

(12) انظر: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحبي الدين الخطيب (بيروت: دار المعرفة، 1379 هـ) ج1، ص170.

(13) انظر: ابن بطال، شرح البخاري لابن بطال، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، ج3، ص177.

(14) انظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، كشف المشكل من حديث الصحيحين (الرياض: دار الوطن، ط1،

1997م) ج1، ص6.

(15) انظر، ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، مقدمة المحقق، ج1، ص55.

(16) انظر: ابن رجب الحنبلي، ذيل طبقات الحنابلة، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، ج1، ص271.

(17) انظر: ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، مقدمة المؤلف، ص55.

(18) انظر: الزركلي، الأعلام، ج3، ص317.

(19) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص1495.

ويميل الباحث في هذه القضية إلى أن العنوان الصحيح الذي وضعه مؤلفه هو: "الكشف لمشكل الصحيحين"، واعتمد في ذلك على تصريح معاصر ابن الجوزي وهو إسحاق بن أحمد بن محمد بن غانم العلي في رسالة أرسلها إلى ابن الجوزي يذمه في منهجه في مسألة الأسماء والصفات، كما ذكر ذلك ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة.²⁰ أما طبعة الكتاب التي اعتمدها الباحث، فقد كتب على غلافها: "كشف المشكل من حديث الصحيحين" بتحقيق: الدكتور علي حسين البواب، الطبعة الأولى سنة 1997 هـ، طبعة دار الوطن. ويبدو أن ذلك من تصرف محقق الكتاب، والله أعلم.

د- منهج الإمام ابن الجوزي في كتابه الكشف لمشكل الصحيحين أولاً: الترتيب الشكلي للكتاب

رتّب ابن الجوزي الأحاديث على ترتيب الحميدي في الجمع بين الصحيحين، فرتّبها على مسانيد الصحابة، فبدأ بمسانيد العشرة المبشرين بالجنة، ثم مسانيد المتقدمين بعد العشرة، ثم مسانيد المكثرين، ثم مسانيد المقلين، ثم مسانيد النساء. ومع أن ابن الجوزي اتبع الحميدي في ذلك الترتيب، إلا أنه لم يفعله عن قنانة، حيث نقده نقداً شديداً، لأنه رأى أن الحميدي لم يف بهذا الشرط، فقال: "اعلم، أن هذا الترتيب ما وفي فيه الشرط، فإنه ذكر في المقدمين خلقاً من المؤخرين."²¹ وبيان ذلك أن الحميدي بعد ذكره لمسانيد العشرة المبشرين بالجنة ذكر مسانيد كل من حارثة بن وهب، وأبي ذر، وحذيفة، وأبي موسى الأشعري، وجريير بن عبد الله، ولم يكونوا قد شهدوا بدرأ، بل كان إسلام جريير متأخر جداً وهو في السنة العاشرة من الهجرة. كما أنه ذكر في المقلين جماعة له أحاديث كثيرة، منهم عبد الله بن عمرو بن العاص، وذكر له خمسة وأربعين حديثاً.

وقد كان الصواب مع ابن الجوزي في هذه القضية، فإن الحميدي نقض بعض شروطه التي ذكرها في المقدمة بترتيب كتابه على النحو الذي ذكره ابن الجوزي.

²⁰ انظر: ابن رجب الخليلي، ذيل طبقات الحنابلة، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، ج 1، ص 271.

²¹ انظر: ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، مقدمة المؤلف، ص 10.

ثانياً: أسلوب ابن الجوزي في شرح المشكل

أما أسلوب ابن الجوزي الذي سلك به في شرح مشكل أحاديث كتاب الحميدي، فيتضح في النقاط الآتية. وقد استفدت في عرض بعض هذه الأفكار مما ذكره المحقق في المقدمة، حيث إنه يشير إلى بعضها، ولم يتوسع في مناقشتها.

فأسلوب ابن الجوزي في شرح المشكل هو:

- 1 حنون لكل مسند بقوله: "كشف المشكل من مسند فلان"، وذكر اسم الصحابي.
- 2 بدأ بتعريف موجز عن الصحابي بذكر شيء من فضائله وعدد أحاديثه، وما أخرج له في الصحيحين قبل بدء شرح مسانيده. فمثلاً، في مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "أسلم في سنة ست من النبوة، وقيل: في سنة خمس. قال هلال بن يساف: أسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة. وقال الليث: أسلم بعد ثلاثة وثلاثين رجلاً. يقال: إنه أتم الأربعين، فنزل جبريل فقال: «يا محمد، استبشر أهل السماء بإسلام عمر» وسمي الفاروق، لأن الإسلام ظهر يوم أسلم. وجملة ما روى عن رسول الله ﷺ خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثاً، أخرج له في الصحيحين أحد وثمانون." (22)
- وقد يكتفي ابن الجوزي بذكر عدد أحاديث الصحابي دون ذكر فضائله كما في مسند زيد بن خالد الجهني (23) وجابر بن سمرة (24)، وسليمان بن صرد (25) وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

- 3 ذكر جزءاً من الحديث الذي يريد شرح إشكاله، وفي الغالب سرد لفظه من أوله، ثم توقف عند موضع الإشكال، ثم بدأ بشرح مشكل ذلك الحديث. فمثلاً، في مسند أبي بكر الصديق أنه قال لرسول الله ﷺ: «علمني دعاءً أدعو به في صلاتي». قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة

(22) ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج 1، ص 47.

(23) انظر: المرجع نفسه، ج 2، ص 261.

(24) انظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 448.

(25) انظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 467.

من عندك، وارحمي، إنك أنت الغفور الرحيم». (26). قال ابن الجوزي: "الحديث الأول: أنه قال لرسول الله ﷺ: «علمني دعاءً أدعو به في صلاتي». قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك» قوله: "اللهم" جعله الزجاج: قال الخليل وسيبويه وجميع النحويين الموثوق بعلمهم: اللهم بمعنى يا الله، والميم مشددة زيدت عوضاً من "يا... إلخ" (27).

وربما ذكر الحديث متصرفاً، فرواه بالمعنى، غير ملتزم بنص الحديث كما ذكره الحميدي في كتابه. فمثلاً، في مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال الحميدي: "الثالث: حديث الرجل: عن البراء بن عازب قال: جاء أبو بكر إلى أبي في منزله فاشتري منه رجلاً، فقال لعازب: ابعث معي ابنك يحمله معي إلى منزله، فقال لي أبي: احمله، فحملته، وخرج أبي معه ينتقد ثمنه، فقال له أبي: يا أبا بكر، كيف صنعتما ليلة سريت مع رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، أسرينا ليلتنا كلها... إلى آخر الحديث في حديث طويل عن قصة هجرة رسول الله ﷺ. (28) قال ابن الجوزي: " وفي الحديث الثالث قال البراء بن عازب: اشترى أبو بكر من عازب رجلاً، وقال: ابعث معي ابنك، فحملته... إلخ. (29).

وهذا التصرف من ابن الجوزي يجعل الفصل بين الكتابين أمراً صعباً، إذ يلزم قارئ كتاب ابن الجوزي أن يرجع إلى نص الحديث الأصلي في كتاب الحميدي، حتى يحصل له الفهم الشامل للحديث.

4 حنى ابن الجوزي عناية فائقة بشرح الألفاظ الغريبة التي يحتاج إلى توضيح، ونجد هذا في جل أحاديث الكتاب، بل ربما كلها. فقال في حديث أبي بكر عن مانعي الزكاة: "فأما قوله: «لو منعوني عقالا» فالعقال: اسم مشترك يقع على الذي يشد به البعير، فإن أراد ذلك فهو للمبالغة، ويقع العقال على صدقة عام. قال الأصمعي: العقال زكاة عام، وأنشد:

سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا & فكيف لو قد سعى عمرو عقالين

(26) الحميدي، الجمع بين الصحيحين، ج1، ص81.

(27) المرجع السابق، ج1، ص12.

(28) المرجع السابق، ج1، ص82.

(29) المرجع السابق، ج1، ص14.

والمعنى: أخذ عمرو صدقة عام.⁽³⁰⁾

وقد يتعرض ابن الجوزي لبيان الألفاظ المعربة، ونقل كثيراً عن شيخه أبي منصور الجواليقي صاحب كتاب: "المعرب". قال في بيان معنى "طست": " قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن أبي عبيد عن أبي عبيدة قال: ومما دخل في كلام العرب الطست، وهو فارسي معرب".⁽³¹⁾

وتوسّع ابن الجوزي توسّعاً زائداً إذا كان اللفظ المشروح من القرآن، حتى يخيل إلينا عند قراءته أننا نقرأ كتاباً من كتب التفسير.

5 اهتمام ابن الجوزي كذلك باختلاف ألفاظ الحديث. ففي حديث: « كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس حسناء »، قال: "الذي قرأناه على مشايخنا: "حسنا"، ورأيتُه بخط أبي عبد الله الحميدي: "حسناً".⁽³²⁾

ونبه أحياناً على لحن بعض طلاب الحديث، فيقول مثلاً في « المتممات»: "وبعض قراءة الحديث تقول: المتممة بتقديم النون. والذي ضبطناه عن أشياخنا في كتاب أبي عبيد بتقديم التاء مع التشديد."⁽³³⁾

كما نبه كذلك على لحن العوام من الناس، فيقول في "القيء": "القيء مهموز، والعامّة تنقله ولا تهمزه."⁽³⁴⁾

6 انتقل ابن الجوزي بعد شرح الغريب إلى شرح المعنى العام للحديث، وهو الأهمّ عنده، حيث كان هو الهدف من تأليف الكتاب. ويعتبر شرحه للغريب مرحلة من مراحل شرح المعنى، كما هو دأب كثير من شراح الحديث. فسلك ابن الجوزي في هذا الإطار مسالك متنوعة، فقد يشرح الحديث معنى إجمالياً، فيقول مثلاً في حديث: «أثنى رجل عند النبيﷺ»: "معنى الحديث: أ نك عرضت صاحبك للهلاك بمدحك إياه،

⁽³⁰⁾ المرجع نفسه، ج 1، ص 27.

⁽³¹⁾ المرجع نفسه، ج 1، ص 356.

⁽³²⁾ المرجع نفسه، ج 1، ص 461.

⁽³³⁾ المرجع نفسه، ج 1، ص 273.

⁽³⁴⁾ المرجع نفسه، ج 1، ص 93.

لأن المدح يحرك إلى الإعجاب بالنفس والكبر.⁽³⁵⁾ ومثل هذا الشرح الإجمالي كثير في كتابه.

وقد يستخلص ابن الجوزي الفوائد والأحكام المستنبطة من الحديث. فيقول في حديث أبي بكر الصديق في قصة الغار: "وفي هذا الحديث ما يدل على جواز الهرب من الخوف، والتمسك بالأسباب."⁽³⁶⁾

وفيما يتعلق باستنباط الأحكام، فإن نفس ابن الجوزي في هذا المجال كان طويلاً، وكثير ما عرض الآراء الفقهية حول الحديث، وأصحابها وحجة كل قول. وقد رجح كثيراً مذهب الإمام أحمد في المسألة، ولا عجب في ذلك، إذ كان حنبلي المذهب.

ففي حديث ابن عمر عن تحريم الخمر قال: "نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: من العنب، والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير. والخمر ما خامر العقل. إنما ذكر عمر هذه الخمسة، لأن الغالب عمل الخمر منها، وقد تعمل من غيرها. وقد اتفق علماء الإسلام على أن الخمر اسم لعصير العنب المشتد الذي يحصل به السكر. واختلفوا في المشتد من غيره مثل نقيع التمر، والزبيب، والحنطة، ونحو ذلك، فذهب الجمهور، منهم مالك والشافعي وأحمد بن حنبل إلى أنه يقع عليه اسم الخمر، ويشارك المتفق عليه في التحريم، وخالف في ذلك أبو حنيفة. وقول عمر الخمر ما خامر العقل دليل على ما قلنا."⁽³⁷⁾

وقد يكون شرحه إجابة على استفسارات بعض طلابه أو الناس في زمانه حول مسألة من المسائل. وفي هذا الصدد، ذهب ابن الجوزي إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث إنه حاول أن يجيب على كل تساؤلات أو إشكاليات يمكن إثارتها حول الحديث المشروح، بأن ينشئ أسئلة فرضية، فيقول مثلاً: فإن قيل كذا، فجوابه كذا.

ففي الحديث عن أكبر الكبائر قال: "إن قال قائل: كيف بدأ بالشرك في هذا الحديث وفي حديث ابن مسعود المتقدم؟ ثم ثنى هناك بقتل الولد، فثلث بالزنا، وثنى هنا بعقوق الوالدين، وثلث بشهادة الزور، وسمى هذه أكبر الكبائر، ومعلوم أن القتل والزنا أعظم من

⁽³⁵⁾ المرجع نفسه، ج 2، ص 14.

⁽³⁶⁾ المرجع نفسه، ج 1، ص 14.

⁽³⁷⁾ المرجع نفسه، ج 1، ص 60.

العقوق وشهادة الزور؟ فالجواب: أنه كأنه عليه السلام ذكر لكل قوم ما يخاف أن يصدر منهم أكثر من غيره، كما قال لبعضهم: «لا تغضب» كأنه أحس منه بشدة الغضب. ويحتمل أن يكون اقتصر في حديث ابن مسعود على الذنوب التي بين العبد وبين ربه، وذكر هاهنا بعد الشرك ما يتعلق بالآدمي وجنسه. فإن قيل: فكيف عظم شهادة الزور بتفخيم أمرها، وتكرار ذكرها والشرك أعظم؟ فالجواب: أن تعظيم أمر الشرك قد عرف، فأراد تعظيم ما لا يعرف قدر وقعه، فكرر، كما أكثر ذكر عيب قوم لوط بالفاحشة، وقوم شعيب بالتطيف، وإن كان الشرك أعظم.⁽³⁸⁾

ولا شك أن هذا الجهد الذي بذله ابن الجوزي في محاولته لدفع كل شبهة، وإجابة كل سؤال، ورد كل إشكالية في أحاديث النبي ﷺ جهد مشكور محسوب في حسنات هذا العالم.

7 - اهتم ابن الجوزي بالتنبيه على بعض التصرفات الخاطئة في زمانه، وقام بالرد عليها بدلالة الحديث الذي هو بصدد شرحه. ومثال ذلك، أنه رد على احتجاج بعض المتأخرين من أصحاب الحديث على أخذ الأجرة في التحديث بحديث أبي بكر الثالث، وفيه أن أبا بكر الصديق اشترى رحلاً من عازب أبي البراء، فطلب أبو بكر منه أن يرسل ابنه معه ليحمله، فامتنع عازب إلا أن يحدث أبو بكر بقصة هجرته مع الرسول ﷺ. قال ابن الجوزي: "كان بعض المتأخرين من شيوخ المحدثين الذين لم يذوقوا طعم العلم، فلم يبارك لهم فيما سمعوه لسوء مقاصدهم، يحتج بهذا في جواز أخذ الأجرة على التحديث، ولا يبعد من ناقل لا يفهم ما ينقل أن يكون مبلغ علمه الاحتجاج بمثل هذا. فأما من اطلع على سير القوم بفهم، فإنه يعلم أنه ما كان هذا بينهم على وجه الأجرة، فإن أبا بكر لم يكن ليخل على عازب بالحديث، ولا هو ممن ييخل عليه بحمل الرحل، وإنما هو انبساط الصديق إلى صديقه."⁽³⁹⁾

⁽³⁸⁾ المرجع نفسه، ج2، ص12-13.

⁽³⁹⁾ المرجع نفسه، ج1، ص15.

وقال في حديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد: " وقد أغرب أهل زماننا بالصلوات عند قبر معروف وغيره، وذلك لغلبة الجهلة وملكة العادات." (40)

8 اعتنى ابن الجوزي بضبط مبهمات الأعلام، وهي من لم يسم في الحديث.

فقال في مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "بلغ عمر أن فلاناً باع خمراً... الكناية بفلان عن سمرة بن جندب." (41)

وقد لا يجد ابن الجوزي اسم ذلك المبهم في الحديث، فيمر عليه ابن الجوزي دون ضبطه، كما في حديث رجل استطلق بطنه، فأمره النبي ﷺ أن يسقيه عسلاً. (42)

9 نبه ابن الجوزي على وقوع النسخ في الحديث الذي هو بصدد شرحه.

ففي حديث «توضأوا مما مست النار» قال: هذا الحديث منسوخ، روى ابن عباس أن النبي ﷺ أكل عرقاً أو كنفماً ثم مضى إلى الصلاة ولم يتوضأ. وقال ابن مسعود: كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ثم يقوم إلى الصلاة ولم يمس ماء. (43)

10 وضح ابن الجوزي ما أدرج من كلام بعض الصحابة أو الرواة، مما قد يظن أن من كلام النبي ﷺ. فقال معلقاً على حديث: "وكان أصحابه يتبعون الأحداث والأحداث من أمره:" من كلام الزهري، وإنما أدرجه الراوي في الحديث ولم يبين، وقد بين ذلك معمر بن راشد ومحمد بن إسحاق عن الزهري. (44)

11 ذكر ابن الجوزي في أثناء شرحه للحديث كثيراً من القصص والأشعار والفوائد المتنوعة، وقد يستطرد في بعضها ويطيل.

ففي حديث الهجرة يعرض لكلمتي "سرى وأسرى"، فاستطرد في ذكر الأفعال التي على وزن "فعل وأفعل" ونقل كلام علماء اللغة في ذلك. (45)

وفي حديث تعذيب الميت والنوح عليه ذكر عادات العرب وأشعارهم في ذلك. (46)

(40) المرجع نفسه، ج2، ص50.

(41) المرجع نفسه، ج1، ص77.

(42) المرجع نفسه، ج3، ص159.

(43) المرجع نفسه، ج3، ص581.

(44) المرجع نفسه، ج2، ص314.

(45) المرجع نفسه، ج1، ص16-17.

(46) المرجع نفسه، ج1، ص57.

وعندما مرّ على ذكر يزيد الفقير، علق عليه قائلاً: "أما تسميته بالفقير فإنه لم يكن فقيراً، وإنما كان يشكو فقار صلبه، فقيل له فقير، ومثل هذا فيروز الحميري، فإنه كان من الديلم، لا من حمير، ولكن نزل في حمير، فقيل له: الحميري. وكذلك سليمان التيمي نزل في تيم، فنسب إليهم، وإلا فهو مولى بني مرة بن عباد. وكذلك أبو سعيد المقبري نزل المقابر فقيل المقبري." (47)

وهكذا ملاً ابن الجوزي كتابه بالفوائد والطرائف، مما يدل على تبحره في مختلف العلوم والفنون.

12 لم يكن جميع ما تطرق ابن الجوزي لشرحه من قبيل المشكل - على المصطلح المستقر في علوم الحديث . لذلك نجد في كتابه بعض الأحاديث الذي ليس مشكلاً، إلا أن ابن الجوزي ذكره من أجل الاستشهاد أو الاستدلال على شيء. فمثلاً، في الحديث الرابع من مسند حذيفة بن اليمان: "وفي الحديث الرابع: «أحصوا لي كم يلفظ بالإسلام» فقلنا: يا رسول الله، أتخاف علينا، ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال: «إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا» فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سراً". قال ابن الجوزي: "ظاهر هذا الحديث يدل على أن حذيفة أسلم بمكة، لأن هذه الأشياء إنما جرت بمكة لا بالمدينة، وإنما يقع الابتلاء للمؤمنين بقهر الكافرين لهم مع قدرة المعبود سبحانه على النصر، ليسلموا لأفعاله وليصبروا على قضائه." (48)

وهكذا نجد ابن الجوزي يشرح أحاديث لا إشكال فيها، ويفسر ألفاظاً لا غرابة فيها، لأجل بعض الفوائد والأحكام التي يرى الحاجة إلى ذكرها والتنبيه عليها. وقد وجدنا أحاديث كثيرة من هذا القبيل.

وبهذا يتبين لنا أن المراد من "الإشكال" الذي يريد ابن الجوزي كشفه - كما هو واضح من عنوان الكتاب - أعم من مدلول لفظ الإشكال الذي يتبادر إلى ذهن القارئ، وأعم من معنى مصطلح مشكل الحديث المتعارف عند دارسي علوم الحديث.

(47) المرجع نفسه، ج3، ص71.

(48) المرجع نفسه، ج1، ص277.

13 أمّا منهج ابن الجوزي في تأويل مشكل الحديث، فإنه ذكر كل أوجه تأويل الحديث التي وقف عليها. وفي الغالب، الآراء التي ذكرها نقلها من سبقه من العلماء، مع العزو إلى قائله أو بدونه. ثم قام بالرد على الأوجه التي لم يعجبه بما أوتي به من الأدلة. ثم ترك سواها دون تعليق، مما يفهم أنه الراجح عنده.

فمثلاً، في حديث: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » ذكر ستة توجيهات للمراد من الحديث، وهي:

- 1 - أن المراد لا يدخل الجنة التي هي أشرف الجنان وأنبليها.
- 2 - أن تكون مشيئة الله تعالى مضمرة في هذا الوعيد فيكون المعنى إلا أن يشاء الله.
- 3 - أن المراد من الكبر الكفر.
- 4 - أن المراد حكم من فعل هذا لا يدخل الجنة، أي: إن جازاه فهذا قدر استحقاقه.
- 5 - أن المراد لا يدخل الجنة ابتداءً.
- 6 - أنه عند دخول أهل الجنة الجنة نزع من قلوبهم الكبر.⁽⁴⁹⁾

ولم يرد ابن الجوزي على واحد من هذه الآراء، مما يدل أنه قبلها كلها. وكان من منهج ابن الجوزي أنه يذكر في كل توجيه أدلة تؤيده، ومبررات تجعله مقبولاً ومستساغاً، سواء كان من القرآن أو الحديث أو الدلالة اللغوية أو مما عرف من عادة العرب أو غير ذلك.

وقد لا يذكر ابن الجوزي إلا توجيهاً واحداً، كما في حديث أم حرام، أنها كانت تغلي رأس رسول الله ع. قال ابن الجوزي: "إنما كان رسول الله ع يقيل في بيتها، وتغلي رأسه، لقراءة بينهما."⁽⁵⁰⁾

وقد لجأ ابن الجوزي كثيراً في تفسيره لأحاديث الصفات إلى التأويل، مع جرأته على رد الروايات بتخطئة الرواة. وكان هذا من المآخذ على كتابه، وسوف نفرّد لذلك بحثاً.

ثالثاً: مصادر كتاب الكشف لمشكل الصحيحين

⁽⁴⁹⁾ المرجع نفسه، ج1، ص321-323.

⁽⁵⁰⁾ المرجع نفسه، ج4، ص468.

من خلال توثيق النصوص التي قام به محقق الكتاب، يتبين لنا أن ابن الجوزي لم يكن مبدعاً في كثير من الأقوال التي ذكرها في كتابه، بل كثيراً ما نقلها عن سابقه من الأئمة. ولا عيب في ذلك، إذ كان العلم إفادة واستفادة، فكل متأخر يستفيد مما كتبه متقدمه، ثم هو يفيد من جاء بعده.

وقد اعتمد ابن الجوزي على مصادر كثيرة في مختلف الفنون من اللغة، والأدب، والفقه، والحديث وغير ذلك. أما عن طريقة نقل ابن الجوزي لكلام الآخرين، فإنه لم يلتزم بذكر المصادر، فيذكر في بعض الأحيان قولاً مجرداً من صاحبه. ويبدو أن هذا كان دأب المتقدمين من العلماء، حيث نجد المنهج نفسه مطبقاً في كثير من كتب التراث.

وعند توثيق ابن الجوزي لمن نقل عنه، قد يذكر اسم المؤلف مع اسم كتابه، وهو نادر، وأغلب صنيعه أن يذكر صاحب القول دون الإشارة إلى كتابه. وقد كان هذا الأمر من بين الصعوبات التي يواجهها محقق الكتاب عند عمله في توثيق النصوص، خاصة فيما إذا كان صاحب القول له مؤلفات كثيرة في فنون متنوعة، أمثال الخطيب البغدادي، والخطابي، والزجاج، وغيرهم. وقد زاد الأمر تعقيداً صنيع ابن الجوزي في أسلوبه في النقل، حيث كان كثيراً ما يتصرف في الألفاظ، بل وقد ينقل الأقوال بالمعنى. قال محقق الكتاب: "فهو مثلاً، ينقل عن الزجاج، وبشيء من الخبرة، يمكن أن تستدل على أن النص في "المعاني" أو "خلق الإنسان"، ولكن الأمر في منتهى الصعوبة عندما يكون العالم ومؤلفاته ذات مادة متقاربة، فهو ينسب النصوص للخطابي، ولا تستطيع دون الرجوع أن تعرف إن كان هذا في "العالم" أو "الأعلام" أو "الغريب" أو في غيرها، وقد تقف على النص قريباً في أحد هذه الكتب، ولكن لتصرف المؤلف في النصوص تضطر على البحث عن النقول في كتاب آخر للمؤلف لعلك تجده بصورة أقرب إلى ما نسبه إليه ابن الجوزي."⁽⁵¹⁾

وبالاعتماد على توثيق النصوص التي قام به محقق الكتاب، يمكن ذكر المصادر

التي نقل عنها ابن الجوزي كما يلي:

1 - أسند الأحاديث والأخبار والنصوص من طريق مشايخه إلى مسند الإمام أحمد،

وطبقات ابن سعد، وحلية الأولياء لأبي نعيم وغيرها من أمهات الكتب.

(51) المرجع نفسه، مقدمة المحقق، ص51.

- 2 -نقل عن كتب الإمام أبو سلميان الخطابي وهي: أعلام الحديث، ومعالم السنن، وغريب الحديث، وشأن الدعاء، وإصلاح غلط المحدثين. فنقولات ابن الجوزي عن الخطابي كثيرة جداً، وإن لم يذكر أسماء الكتب التي نقل منها.
- 3 -نقل عن كتب ابن قتيبة الدينوري وهي: غريب الحديث، وتفسير غريب القرآن، وتأويل مختلف الحديث، وتأويل مشكل القرآن، وأدب الكاتب، وإصلاح غلط أبي عبيد وغيرها.
- 4 -نقل عن كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام. اعتمد عليه في أخذ أقوال اللغويين، وآرائهم، ونقل الشواهد.
- 5 -نقل عن كتب الزجاج مثل: معاني القرآن، وفعلت وأفعلت، وخلق الإنسان، وغيرها.
- 6 -نقل عن كتب ابن فارس مثل المقاييس والمجمل.
- 7 -نقل عن التهذيب للأزهري.
- 8 -نقل عن كتب أبي منصور الجواليقي مثل المعرب وتكلمة لحن العامة.
- 9 -نقل عن التمهيد لابن عبد البر.
- 10 -نقل عن ابن عقيل في قضايا العقيدة والمنطق.

رابعاً: مميزات كتاب الكشف لمشكل الصحيحين

- من خلال قراءة ما تيسر من كتاب ابن الجوزي، يظهر للباحث بعض مميزات الكتاب، وهي:
- 1 -استدرك ابن الجوزي على متقدميه، مما يدل على سعة علمه ورسوخ فهمه.
 - 2 -توسّع في ذكر أوجه تأويل مشكل الحديث في كثير من الأحاديث التي تعرض لشرحها.
 - 3 -نوّبه على التصحيف الواقع في ألفاظ الحديث.
 - 4 -عني بضبط مبهمات الأعلام الواردة في الحديث.
 - 5 -توسّع في ذكر معاني الغريب، وذكر اشتقاق الألفاظ، ونقل أقوال اللغويين.
 - 6 -وضع أسئلة افتراضية مما قد يستشكل الحديث بها، ثم أجاب عنها بجواب شاف.

- 7 - استطرد أحياناً في ذكر القصص، والطرائف، والأشعار، والفوائد المتنوعة، مما يشري ثقافة القارئ، ويعطي متعة عند القراءة.
- 8 - قام بترجيح الأقوال في توجيه معنى الحديث.

خامساً: المآخذ على كتاب الكشف لمشكل الصحيحين

لم يسلم أي إنسان من زلة، لأن الخطأ والنسيان من طبيعة البشر. ولأن لكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة، وكفى بالمرء نبلاً أن تعدّ معاييه. وفيما يلي بعض الانتقادات على كتاب ابن الجوزي وهي:

- 1 - فسّر كلمات ليست من قبيل الغريب. فهو فسّر الكهف بالغار، والقصر بالمنزل المبني، والمقعد بموضع القعود، والحلف باليمين، والنبأ بالخبر وغير ذلك كثير. ولا شك أن معاني هذه الألفاظ واضحة لا يحتاج إلى تفسير.
- 2 - ذكر أحاديث ليست من قبيل المشكل. لذلك نقل حاجي خليفة عن بعض من اختصر كتاب ابن الجوزي قوله: "رأيته يذكر فيه شيئاً من الأحاديث غير مشكل." (52)
- 3 - الشدة والغلظة في بعض كلام ابن الجوزي على مخالفيه. وهذا الأمر معروف عنه، وسجّله بعض العلماء في ترجمته. قال ابن الأثير: "وكان كثير الوقعة في الناس، لا سيما في العلماء المخالفين لمذهبه." (53)
- 4 - جرأته على رد الروايات ونسبة الوهم إلى الرواة الثقات، خاصة إذا خالفت منهجه. فمثلاً، في حديث: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه» أوّل لفظ "القدم" ونسبه إلى الحسن البصري، وقال بأن المراد: قوم يقدمهم من شرار خلقه. ثم نسب الوهم إلى الرواة فقاق: "فإن قيل: كيف

(52) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص1495.

(53) الشيباني، محمد بن محمد بن عبد الواحد، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 2،

يصح هذا التأويل؟ وسيأتي في حديث أبي هريرة « يضع فيها رجله » فالجواب أن هذا من تحريف بعض الرواة، لأنه ظن القدم هي الرجل، فروى بالمعنى الذي يظنه. ⁽⁵⁴⁾

هـ- الخاتمة

وفي الختام نقول، إن هذا الكتاب له مكانته العلمية في مجال علم مشكل الحديث، مع بعض المآخذ على بعض المناهج التي سلكها مؤلفه. وهو كتاب غني بالمسائل العلمية من العقيدة، والحديث، والفقه، واللغة، والشعر، والقصاص، وغيرها من الفنون. وبالمميزات التي امتاز بها الكتاب، يستحق أن يكون مرجعاً أولياً في كثير من الأحاديث التي قد يستشكله العوام، فضلاً عن طلاب العلم. فرحم الله الإمام ابن الجوزي رحمة واسعة، وأدخله في زمرة العلماء العاملين، آمين.

المراجع

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، كشف المشكل من حديث الصحيحين (الرياض: دار الوطن، ط1، 1997م).

ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت: دار الفكر، 1979م).

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحبي الدين الخطيب (بيروت: دار المعرفة، 1379 هـ).

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس (بيروت: دار الكتب العلمية، 1970م).

ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية (بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م).

⁽⁵⁴⁾ ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج3، ص244.

- الحميدي، **الجمع بين الصحيحين** ، تحقيق: د. علي حسين البواب (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1419 هـ - 1998 م).
- خليفة، حاجي، **كشف الظنون** (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، 1992م).
- الداودي، **طبقات المفسرين** (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيمان، **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق: شعيب الأورنؤوط ومحمد نعيم العرقوسي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 9، 1413هـ).
- العلوجي، د. عبد الحميد، **مؤلفات ابن الجوزي** (بغداد: دار الجمهورية للنشر والتوزيع، 1965هـ).
- الغزولي، عبد العزيز سيد هاشم، **ابن الجوزي، الإمام المربي، والعالم البليغ، والعالم المتفنن** (دمشق: دار القلم، ط1، 2000م).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني (القاهرة: دار الشعب، ط2، 1372هـ).
- نصير، د. آمنة محمد، **أبو الفرج بن الجوزي، آراؤه الكلامية والأخلاقية** (القاهرة: دار الشروق، ط1، 1987م) .